الصنم

بقلم : رضا المنياوى

كنا ثلاثة نلتقى كل مساء لنمضى سهرتنا سويا . انا وطبيب وصديق ثالث ، وسهرات الصيف تطول ، نقضيها فى مكان هادىء على النيل نتحدث دائما عن الانسان — هل هو صنيعة الله — خلقه ليسيره ام انه نتيجة تطور مجتمعات هى وحدها المسئولة عنه .

كنت وصديقنا الثالث دائما نختلف — اقول الله وروحه الساكن فينا قادر فيرد ان الطروف تحول ، وينتهى بأن نمضى صديقنا لو اصبح حمارا يسير الى حيث لا يدرى ومرجع فيستريح بلا احتراق .

كل ذلك والدكتور عارف فينا سره — اسرار مرضاه التى تملأه لكنها قدسية المهنة — لا كلام طوال السهرة الا زفرات حارة كأنها دخان حرائق فى صدره ، واسأله ما بك يادكتور — دكتور اعصاب تشم رائحة اعصابه تحترق امرد متنسما .. الانسان ... !!! ويتحرك شبحى ليسير حتى يحس بالتعب فيفترق لنلتقى فى الليلة المقبلة — كانت هذه عادتنا .

لكن حدث ان اختفى الدكتور بعد ان امضى معنا ايامه الاخيرة فى صورة غريبة ، يجلس معنا صامتا ويتحرك ليتكلم ثم يرجع ليسترخى على كرسيه بعد ان تفلت من شفتيه كلمات او مقاطع كلمات كنا نحس فيها بامتلاء نفسه — اساله فلا يجيب فيعيد صديقنا السؤال فيتبرم ونشغل عنه بالحديث فيتذكر ما حدث .

مرت ايام احسسنا بطولها لافتقادنا الى الدكتور ، ذهبنا نسأل عنه فوجدناه يجلس فى حجرته ، الحجرة مظلمة الا من مصباح على مكتبه وبين يديه كتاب .

وكأنه لم يحس بنا ، جلسنا وابتدا الدكتور بلا مقدمات وكنا نجلس معه من ساعات .

— غريبة قوى البنت دى ..!!

— اى بنت يا دكتور تلك التى تحكى عنها .. وكأننى ايقظته فجأة من النوم ليكمل .

مريضة زارتنى فى الاسبوع الماضى ، جاءت ومعها رجلان ، اولهما ، اسمعوا جيدا ، اقول اولهما لانك اذا نظرت اليها لا بد ان تلتفت اولا اليه لملامحه تشبهك ، وجه صلب ونظراته سليكة وشعر يحتاط

فيه الاسود بالابيض وساء قوى فيه العمود ، والاخر اكثر منه سنا اذا نظرت اليه تحس انه لا يرى نفسه . يتحاشاها .. يطاطىء الراس وكانه ينظر الى اقدامه او الى لاشيء — ومريضنا هذه تتوسطهم تجلس هادئة فى اعماقها حيرة وفى نظرتها ذكاء .

سالتهم متعرفت انها طالبة بالتوجيهية دخلت لتمتحن وفى آخر ايام الامتحان انتابتها حالة عصبية اعقبها اغماء منعها من الاستمرار . هذا ماعندهم ، طمانتهم لان ذلك الاحمرار الذى على وجنتها نتيجة الارهاق واشرت بيدها موضع يدى على كتفها لكى موجئت بها وقد تمرت وعيناها بحوجتان من دمع تتحركان بسرعة تبحث عن الباب فتتجه اليه صارخة «آنكل مؤاد . آنكل مؤاد» فتحت الباب موجدت الرجل الثانى يتجه الى الفتاة مسرعا بطيئا ووراءه وفى خطوات ثقيلة الرجل الاول ، فلما رانه اتجهت اليه تتعلق به — طمانها مهدات وخرجنا لنجلس .

— عرفت ان الرجل الاول مؤاد او آنكل مؤاد كما تسميه الفتاة او الاستاذ مؤاد كما يناديه شقيق احمدى — هو زوج خالة الفتاة اما شقيق احمدى فهو والدها .

ايضا عرفة كثيرة تتكلم لكن الفتاة مازالت مضطربة وكلما ركزت عليها نظرى ظهر اضطرابها اذ لا مفر من تحذيرها وفعلا اعطيتها حقنة مخدرة وطلبت منهم ان يذهبوا بها الى المنزل بسرعة لانها ستنام وفى المساء وقبل ان تستيقظ ساكون بجوارها .

وفى المساء كنت هناك فى منزلهم دخلت موجدتها نائمة بهدوء المخدر — جلست جوارها وبعدها ماستيقظت بعد ساعة .

حانت .. لقد نمت طويلا .. استيقظى — لقد حضرت لاطمئن عليك واتحدث معك ، حدثينى عن الامتحان لقد عرفت انك دكية بجتهدة فكيف حدث ذلك فى الامتحان ، هل كانت اسئلة الجغرافيا صعبة لم انك كنت مرهقة .. اعتدلت جانبيا وابتدات تكلمنى فى هدوء ... كنت اذاكر كل ساعات النهار وفى المساء ياتى آنكل مؤاد ليشرح لى ويعيد على مذاكرته كل يوم حتى اتممت المقررات بعد ان شرحهما لى آنكل مؤاد ثلاث مرات كل يوم يحضر فى المساء ليشرح لى دروسا اذاكرها فى النهار حتى احفظها — لم اكن خائفة من الامتحان لان آنكل مؤاد احرص انى بجتهدة ولا بد ان انجح وخصوصا وانها السنة الثانية لى فى التوجيهية فلقد رسبت فى العام الماضى لانى لم اذاكر وآنكل مؤاد لم يكن معى ، وعند مابدا الامتحان كان آنكل مؤاد يحضر كل مساء ليراجع لى الدروس وفى الصباح ياخذنى فى تاكسى الى اللجنة فينتظرنى الى ان انتهى وارجع معه الى المنزل فيتركنى ليعود فى المساء حتى كان يوم الثلاثاء عندما ارسل آنكل مؤاد يعتذر عن الحضور لمرضه وحاولت ان اذهب لاراه لكنهم منعونى ولم اذاكر وفى الصباح لم يحضر لاذهب الى الامتحان وذهبت مع والدى وفى الطريق حاولت ان ازور آنكل مؤاد ولكن والدى رفض لان الوقت متاخر — استطعته لكنه اصر وحاولت بشتى الطرق مراد اصرار والدى عندما عرف ان الساعة قد قاربت السابعة والنصف فاحسست

بدوار شديد ومكبت وكنا قد وصلنا اللجمة .

كانت جاتيت تتكلم وكأنها تتكلم فقط لترديد اسم فؤاد وكلما نطقت به أحست برعشة خاصة وعندما وصلت بكلامها الى ذكر اللجمة رفعت عيناها في ذعر وتحركتا في سرعة وصرخت ... آنكل فؤاد .. آنكل فؤاد .. أسرعت فاطمينها حقنه .. ووقفت بجوارها حتى نامت وهي ترديد آنكل فؤاد .. آنكل فؤاد .. تركتها وخرجت لأجد والدها على باب الحجرة يقف في حيرة وبحوار

والدتها — اغلقت باب الحجرة عليهما وجلست معهم أمال شقيق امندى عن حياة جاثيت لكنه كان مضطربا يرمق عينه لتتكلم فيعود بنظره الى الارض ومرت عشرة سكون قطعتها والدتها لتقول .. جاثيت يادكتور ، ربكت حياتنا فجاة دلع .. وشقيق هو السبب .. من سفرها بيعطف عليها ولا يرد لها طلب — كانت تذاكر عند اصدقائها وترفض ان تذاكر مع اخواتها لكنها كانت دائما تنجح . الى ان كانت تلك الليلة التى حضر فيها الاستاذ مؤاد فاثرا لانه راى جاثيت فى صحبة ثلة من صديقاتها رآها فى عربة احداهن واتفقنا ان تذاكر فى البيت مع اخوتها ولا تختلط بصاحبتها — وفعلا بقيت فى الخروج ومرضت ثم شفيت وابتدات تذاكر فى البيت ولكنها رسبت فى التوجيهية — وفى الاجازة وجد لها الاستاذ مؤاد هذه الشقة بجواره وانتقلنا الى هنا حتى تكون البنت قريبة منه لاننا خفنا عليها من الانحراف — كان الاستاذ مؤاد يحضر يوميا وابتدا يذاكر لها — فى الاجازة الصيفية وكان دائما يرعاها يشترى لها كل شىء حتى ملابسها يحضرها لها بنفسه الى المنزل ولا يسمح لها بالخروج ولم تخرج منذ انتقلنا الى هنا الا يوم الامتحان ومع الاستاذ مؤاد وكانت كل يوم ترجع فرحة الى ان كان يوم الثلاثاء يوم مرض الاستاذ مؤاد لم تذاكر واخبرا اغمى عليها فى اللجنة .

انهت الام كلامها بعد ان اكملت صورة جاثيت فى ذهنى ورايت ان ابدا بالاستاذ مؤاد وفعلا شددت عليهم الا تراه مهما حدث وان يتصلوا بى اذا احتاج الامر فى اى وقت — الى ان اعود فى مساء الغد . وفى حوالى الواحدة بعد منتصف الليل دق جرس التليفون وكان شقيق امندى هو المتكلم يرجونى ان احضر حالا لان جاثيت اغلقت على نفسها الباب وتهددهم بالانتحار ان لم يحضروا لها الاستاذ مؤاد .

وصلت المنزل فوجدت الكل يقف على باب الحجرة يتوسل اليها ان تفتح وحاولت معهم لكنها اصرت وراقبتها فوجدتها تنظر الى المائدة نظرات متكررة فيها ما بنفسها ، فارسلت والدها يستدعى مؤاد . وعندما احست جاثيت بقدمه منحت الباب لترتمى عليه وتبكى — جلسنا قليلا حتى هدات فقدمنا لها الطعام لكنها رفضت حتى يؤكد لها ان مؤاد لن يتركها بل سيظل معها واخبرا بعد ان اكدنا لها ما ارادت اعطيتهما محذرا لتنام وتركتها .

كنت اذهب كل مساء وابتدات اعالجها بالصدمات الكهربائية لكنها كانت ترفض وتظل هكذا الى ان يحضر مؤاد .

ذلك كل ما يشغلنى طوال الايام الاخيرة التى كنت فيها معكم لانى ارغت ان ابدا علاجى بالاستاذ مؤاد عندما ولكنى موجنت بعدا اخبرتكم به وكان لابد ان ابدا من جديد فضلت ان ابقى بالمنزل ادرس بعض المراجع وخوفا من ان اموح لكم بسر مريضتى لكن اليوم وبعد قليل وجدت الطريق — ملا تقلقوا من غيابى لانى سأخرج مريضتى الى العالم الفسيح لاحطم الصنم الساكن فى اعماقها .